

موقف غوستاف لوبون من العصر الجاهليّ

في كتابه حضارة العرب

دكتور/ عمر عبد الله أحمد شحادة الفجّاوي*

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اصطفى، وصحابته المنتجبين

الحنفا، أمّا بعد،

فقد صرفت جهداً في الاطلاع على كتاب "حضارة العرب" لغوستاف لوبون، ووجدت فيه قضايا تحتاج إلى التلبّث معها إعجاباً بالرجل تارة، وردّاً عليه طوراً آخر، وأنا معنيّ في هذا البحث بما تكلم به صاحبنا على العرب وأحوالهم في العصر الجاهليّ.

لقد ألفت لوبون وقد احتفى بالعرب قبل الإسلام احتفاءً عزّ نظيره حتى عند بعض بني قومه، وقدم في قراءته للعصر الجاهليّ آراء تستحقّ التقدير والاحترام، وأخفق في مواضع ناقشناها حيث وردت، ولكنتها لا تقوم شائنة ولا ذاماً أمام الفضائل الكثيرة التي ذكرها لهذا العصر وللغرب أنفسهم.

وحسبنا في دراستنا لآرائه ومواقفه أنّ بعض القضايا التي أوردها خطفاً ومسمّها مسّاً رقيقاً قد جلوناها وألفنا في توضيحها، أمّا ما رأيناه غير دقيق، فقد ردّدنا عليه ردّاً علمياً موثقاً، فيه الدليل والبرهان القائم على العقل والتقل.

ويكفي صاحبنا نزاهة أنّه تحدّث عن العرب في الجاهليّة حديثاً كريماً، إذ نفى عنهم بالبرهان العقليّ أن يكونوا همجاً، وقدم الدليل على قدرتهم على القيام بأعباء الرّسالة الإسلاميّة ونقلها إلى العالمين.

وهذا البحث عرض لآراء الرجل وقراءة لها، أسأل الله السّداد والرّشاد فيما نددت نفسي

إليه، وله تعالى الأمر من قبل ومن بعد.

* كلية الآداب — قسم اللغة العربية وآدابها — الجامعة الهاشمية — الأردن.

عرض آراء السابقين :

يعرض غوستاف لوبون آراء من سبقوه في العصر الجاهلي، ويفصل هذه الآراء، ويكتفي بالإشارة إليها دون تحديد أصحابها بأسمائهم بادئ الأمر، فيقول " : رأى الكثيرون أنه لا تاريخ للعرب قبل ظهور محمد، وحبّتهم في ذلك أن العرب قبل ظهور محمد، إذ كانوا مؤلفين من قبائل متنقلة عاطلة من العنعات ، كانوا من الأحلاف الذين لم تع ذاكرة الإنسان شيئاً عنهم^(١) .

ثم يحدد واحداً من هؤلاء الكثيرين ويخصّه بإثبات رأيه والرد عليه، وهو رينان، فيقول " : وإلى مثل هذا الرأي ذهب بعض الأذكى المعاصرين، ومنهم مؤلف تاريخ اللغات السامية الشهر رينان، الذي قال " : لا مكان لبلاد العرب في تاريخ العالم السياسي والثقافي والديني قبل ذلك الانقلاب المفاجئ والخارق للعادة الذي صار به العرب أمة فاتحة مبدعة، ولم يكن لجزيرة العرب شأن في القرون الأولى من الميلاد حين كانت غارقة في دياجير ما قبل التاريخ، ولم يظهر بأسها وبسالها إلا بعد القرن السادس من الميلاد^(٢) .

الرد بالبرهان العقلي :

وبعد إثبات هذا الرأي، يناقشه مناقشة علمية قائمة على تقديم البرهان العقلي ، فهو يرفض رأي رينان ويعده فاسداً ويبين أن المنطق لا يقبل ظهور أمة على مسرح التاريخ بلغتها وحضارتها إلا بعد تدرج بين في التقدم للوصول إلى الرقي والرفعة، فيقول " :وعندنا أن هذا الرأي فاسد أول وهلة، ولو لم نعلم شيئاً عن ماضي العرب، فإن أمكن ظهور حضارة أمة ولغتها بغتة على مسرح التاريخ لا يكون هذا إلا نتيجة نضج بطيء ، فلا يتم تطوّر الأشخاص والأمم والتظم والمعتقدات إلا بالتدرج، ولا تبلغ درجة التطور العالية التي تبدو للعيان إلا بعد الصعود في درجات أخرى^(٣) .

ويلج على هذا البرهان العقلي، فلا يكفي بمثال واحد، بل يقدم مثلاً ثانياً بعد أن يضع القاعدة العامة، فالقاعدة العامة عنده هي ضرورة النضج البطيء في ظهور أي شيء، فما بالك إذا كان أمة لها حضارة وثقافة؟ والمثال بعد هذه القاعدة هو أن الأشخاص والأمم والتظم والمعتقدات لا تتطور إلا بالتدرج .

ثم يقدم مثلاً ثالثاً عقلياً، إذ لا يصدق ظهور أمة بحضارة راقية إلا أن تكون هذه الحضارة ثمرة ماضي طويل، فيقول " :وإذا ما ظهرت أمة ذات حضارة راقية على مسرح التاريخ، قلنا :إنّ

هذه الحضارة ثمرة ماضي طويل...^(٤).

ويلحف في البرهان العقلي، فيقول " :ولا يعني جهلنا لهذا الماضي الطويل عدم وجوده،
وتؤدي مباحث العلم في الغالب إلى عرض هذا الماضي للناظرين"^(٥).

وهذا إيغال من غوستاف لوبون في الدفاع عن العصر الجاهلي وكأنه قد تمثل القاعدة
الأصولية " :عدم وجود الدليل، لا يدل على عدم وجود المدلول... " و "الحكم على الشيء فرع
من تصوره" ؛ لذا، فهو يبين أن جهلنا بالعصر الجاهلي لا يعني عدم وجود هذا العصر .

وحين انتهى من تقديم براهينه، يقدم رؤيته عن العصر الجاهلي، فأمر هذا العصر منسجم
مع تلك البراهين، وحضارته تشبه حضارة الآشوريين والبابليين، فيقول " :ولم يكن أمر حضارة
العرب قبل ظهور محمد غير ذلك، وإن عسر علينا أن نقول كيف كانت هذه الحضارة، فقد أثبتت
الآثار والوثائق التي بأيدينا وجودها وأنها لم تكن -على ما يحتمل- دون حضارة الآشوريين والبابليين
الذين ظهر شأنهما حديثاً بفضل علم الآثار بعد أن كانتا مجهولتين"^(٦).

سبب الوهم في همجية العرب

يسم غوستاف لوبون البند الأول من الفصل الثالث " :العرب قبل ظهور محمد " بـ"
الوهم في همجية العرب قبل ظهور محمد:"، وهذا العنوان يغري الباحث بالتظن فيه، وتدبره، ويجد
فيه الأمرين الآتيين :

١ . سُمي لوبون هذا الفصل "العرب قبل ظهور محمد" وفي هذا دعوة للتفكير والتساؤل
، إذ لم يسمه العصر الجاهلي، ولعلّ هذا -في تقديري- من شدة نزاهة الرجل
وموضوعيته وإنصافه للعرب، إذ أبي وصفهم بالجاهلين ووصف عصرهم بالجاهلي،
فأخرج نفسه من دائرة الحرج، وآثر السلامة، فسماه "العرب قبل ظهور محمد"،
وهذا -كذلك- فيه تقدير لهذا النبي صلى الله عليه وسلم، إذ جعله فيصلاً بين
عصرين.

٢ . كما سُمي البند الأول "الوهم في همجية العرب قبل ظهور محمد"، وهذا إنباء أن
غوستاف لوبون رافض لهمجية العرب قبل أن يدخل في التفاصيل، فقد جاء بكلمة
الوهم، فيبدّل على أنهم ليسوا كذلك .

أما سبب هذا الوهم، فيعزوه إلى عدم التفريق بين أهل البدو وأهل الحضرة، فيقول " : ولم ينشأ وهم الناس في همجية العرب قبل ظهور محمد عن سكوت التاريخ فقط، بل نشأ، أيضاً، عن عدم التفريق بين أهل البدو وأهل الحضرة من العرب"^(٧).

البرهان النقلى :

يقدم غوستاف لوبون برهانه النقلى في تنفيذ هذا الوهم، فيعرف الأعراب أنهم أجلاف كأجلاف الأمم الأخرى، وهم ليسوا غير فرع من فرعي الأرومة العربية^(٨).

فنجده يميز الأعراب من الحضرة بما عرفه المثقف العربي، ولكن يؤخذ عليه أنه لا يوثق معلوماته التي يستبها في كتابه.

أما العرب المتحضرون فهم المقيمون بالمدن والمهاجرون في أمور الزراعة، ويرى أنه سهل علينا أن نثبت وجود حضارة عظيمة لهؤلاء المتحضرين من العرب وإن كنا لا نعرف تفاصيلها"^(٩)

إن غوستاف لوبون يقدم لنا صورة مهمة وواضحة عن معرفة العرب بالزراعة، وقد المع إلى هذا بإعانة، دون أن يفصل، وحسبنا أن ننظر في كتاب الله تعالى لتبين أنه قد ورد ذكر عدد من المسزروعات، ونحن نؤمن أن الله تعالى قد أنزل القرآن على العرب بلغتهم، وخاطبهم بما يعلمون، فذكر المسزروعات دال على أن العرب قد عرفوها، وزرعوها، فمثلاً، قال تعالى: "...أنتم تزرعونها أم نحن الزارعون"^(١٠)، و: "والتين والزيتون، وطور سينين"^(١١)، و: "وفاكهة مما يتخيرون"^(١٢)، و: "والزيتون والرمان مشبهاً وغير متشابه"^(١٣).

وقد أورد عرام بن الأصغى السلمي أسماء عدد كبير من الخضراوات والفواكه التي كانت تزرع، كالبقول والبطيخ^(١٤)، والعرعر، والقرظ والبشام^(١٥)، ويقول عرام في حديثه عن مكان اسمه: "وَرَمَانٌ" : "وفي وَرْمَانِ أنواع الشجر المثمر كآلة وغير المثمر"^(١٦)، وليس هذا أوان التبسط في ذكر هذه الأنواع من الخضراوات والفواكه ولا مكانه، وهي مبثوثة في كتاب عرام الذي اقتبسنا منه المعلومات الآتفة .

كل تلك إشارات مهمة إلى أن العرب قد عرفوا الزراعة ومارسوها، وما داموا كذلك، فقد كان قسم كبير منهم مستوطناً غير راحل؛ لأن مهنة الزراعة تقتضي التلبث في المكان والإقامة فيه لرعاية الزروع، وهذا يقودها إلى أن العرب قد عرفوا المهنة، واحترفوا، بدلالة الأشعار في

ذلك، كمهنة الصّائد التي تملئ كثير من القصائد الجاهلية بالحديث عنه، ومشتار العسل والغواص،
كما في قول الأعشى :

كانفا درة زهراء أخرجها غواص دارين يحشى دوفا الغرقا^(١٧)

وكان الغواص يسمّى القامس، كما في قول أبي ذؤيب:

كأن ابنة السهمي درة قامس لها بعد تقطيع التبح وهيج^(١٨)

ويستمر غوستاف في تقديم البرهان النقليّ على حضارة العرب في العصر الجاهليّ، أو
كما سماه: "قبل ظهور محمّد" إذ يقدم برهانين نقليين، هما :
الأول: الآداب الناضجة واللغة الرّاقية :

يكفي صاحبنا بالإشارة الحاطفة إلى الآداب واللغة، وكأنما يقدم لنا لباب ما توصل إليه،
بعد أن بدا واضحاً اطلاعاً على الأدب الجاهلي ولغته، فيقول: "ولم يكن التاريخ صامتاً إزاء ثقافة
العرب القديمة صمته إزاء الحضارات الأخرى التي رفع العلم الحديث عنها التراب، ولو كان
التاريخ صامتاً إزاء حضارة العرب، لقطعنا، مع ذلك، بوجودها قبل ظهور محمّد بزمن طويل،
ويكفي لتمثلها أن نذكر أنه كان للعرب قبل ظهور محمّد آداب ناضجة ولغة راقية"^(١٩).

وأرى أنّ من الفضول الاستبحار في الحديث عن الأدب واللغة في العصر الجاهليّ؛ لأن
الأدب في ذلك العصر منكشف ولا يجمل التلبّث معه في هذه العجالة؛ لأنه أكبر من أن تحيط به
صفحات هذ البحث.

الآخر: الصّلات التجارية

يشير غوستاف لويون إلى العلاقات التجارية التي كانت بين العرب وغيرهم من الأمم
فيقول: "...وأنتهم كانوا ذوي صلات تجارية بأرقى أمم العالم منذ القديم، فاستطاعوا في أقلّ من مئة
سنة أن يقيموا حضارة من أنضج الحضارات التي عرفها التاريخ"^(٢٠).

وقد شهد الشعر الجاهليّ بهذه الصّلات، عن طريق ذكر كثير من الأقوام، وما دام
ذكرهم وارداً في الشعر، فهذا يعني أن علائق تجارية قد نشأت بعد ذلك، وما الأسواق التي كان
العرب يقيمونها كعكاظ وذوي الحجاز وذوي الحجة إلا دليل على تلك الصّلات .

كما أن في الشعر الجاهلي إشارات دالة على نشاط اقتصادي واضح، فهذا المرقش الأصغر يذكر السوق وبيع الخمر، في أثناء حديثه عن فم محبوبته، إذ يشبّهه بأنه ألدّ من الخمر، فيقول :

وما قهوة صهء كالمسك ريحها	تطان على الناجود طوراً وترحُ
ثوت في سباء الدنّ عشرين حجة	يطان عليها قرمد وتروحُ
سباها رجال من يهود تواعدوا	بجبلان يدنيها من السوق مُربحُ
باطيب من فيها إذا جنت طارقاً	من الليل بل فوها ألدّ وأنضح ^(٢١)

ونجد الشماخ يذكر السوق وطريقة بيع قوسه، والمماكسة التي حدثت بين البيع والمشتري، فيقول :

لواقى بها أهل المواسم، فانبى	له بيع يُعَلِي بها التوم رائزُ
فقال له: هل تشتريها؟ فأنها	تباع إذا بيع التلاذ الخرائزُ
فقال له: بايع أخاك، ولا يكن	لك اليرم عن بيع من الربح لاهزُ
فقال: إزار شرعيّ، وأربحُ	من الشيزِ أو أواقِ تبرِ نواجزُ
ثمّان من الكوريّ حر كائها	من الخمر ما أدكى على التار حابزُ
وبردان من خالٍ وتسعون درهماً	على ذلك مقروطاً من القدّ ماعزُ
وظلّ ينجي نفسه وأمرها	أيبي الذي يعطى بها أم يجاوزُ
فلما شراها فاضت العين عبرة	وفي الصّدر حُرّاز من الوجدِ حامز ^(٢٢)

فالتأخر في هذه الأبيات يرى أساليب البيع والشراء والعرض والمعاينة والمماكسة والمقايضة، والألفاظ الدالة على ذلك، وهذا كلّهُ يؤكد الجانب الاقتصاديّ الذي كان يحياه العرب في العصر الجاهليّ، وما داموا كذلك، فهذا يبيّن أنّ القوم قد بلغوا شأنًا من التقدّم الحضاريّ في الاقتصاد، وأنّ القوم كانوا يتعاملون مع غيرهم من الأقوام، فأفادوا من تجربتهم ومعرفتهم .

ويلجأ غوستاف لوبون على تقديم الحجج على علو شأن العرب في الجاهلية، فيقدم لنا برهاناً عقلياً جديداً يتضاف إلى البراهين الفاتحة، إذ يبين أن الآداب واللغة لم تأت عفواً أو كيفما اتفق، بل تدلّ على رسوخ في العهد، فيقول: "والحق أن الآداب واللغة من الأمور التي لا تأتي عفواً، وهي تتخذ دليلاً على ماضي طويل، وينشأ عن اتصال أمة بأرقى الأمم اقتباسها لما عند هذه الأمم الراقية من التمدن، إذا كانت أهلاً لذلك"^(٢٣).

وإذا ما تدبرنا هذا النص، ألفينا لوبون يشير من طرف خفي إلى مسألة لا ندرى أهي جاءت في نفسه عفو الخاطر، أو آله يعنها ويقصدها، هي أولية الشعر الجاهلي، أو طفولة الشعر الجاهلي، وهذه المسألة قد شغلت القدماء واخذت بهم يحنون فيها، إذ يظهر التساؤل الكبير وهو: هل هذا الشعر الجاهلي الذي نقرأ ونشده بهذا السمو البياني البديع قد ولد هكذا؟ أو ليس له بدايات؟ بمعنى أن العقل يلمح علينا القول بأن هذا الشعر قد مرّ بمراحل حتى بلغ هذه المرحلة الرقيقة.

ولذلك، يرى غوستاف لوبون أن الآداب واللغة تدلان على ماضي طويل، لبثت رسوخ كعب العرب في الجزيرة، وامتداد حضارتهم في الزمان، فهم ليسوا بطارئين، بل لهم تاريخ متجذر. ثم يأتي برهان عقلي آخر، إذ يرى أن هؤلاء الناس الذين استطاعوا أن ينشئوا دولة في أقل من مئة عام موروثاً حضارياً يؤهلهم لذلك، فيقول: "وقد أثبت العرب أنهم أهل للاقتباس، ولا ريب في أن العرب الذين استطاعوا في أقل من قرن أن يقيموا دولة عظيمة وبيدعوا حضارة عالية جديدة، من ذوي القرائح التي لا تتم إلا بتوالي الوراثة وثقافة سابقة مستمرة وبالعرب، لا بأصحاب الجلود الحمر أو الأوسراليين، أنشأ خلفاء محمد تلك المدن الزاهرة التي ظلت ثمانية قرون مراكز للعلوم والآداب والفنون في آسية وأوروبا"^(٢٤).

إن غوستاف لوبون يرى في هذا النص أن العرب لو لم يكونوا ذوي تاريخ طويل وثقافة مستمرة، ما استطاعوا أن يقيموا دولة، وهذا البرهان العقلي يلتقي مع البرهان الفاتح، حين تحدثنا عن تاريخ الأدب واللغة، وكان الرجل يريد أن يبين أن هؤلاء الصحابة الذين دخلوا الإسلام هم أبناء العصر الجاهلي بما فيه من أدب وثقافة وامتداد تاريخي طويل، لذلك أهلهم كل ذلك إلى أن يكونوا قادة وسادة، فاستطاعوا إقامة دولة.

ويصرّ لوبون على لفظة العرب ويؤكددها حين يقول: "... لا تتمّ إلا بعوالي الوراثة وبثقافة سابقة مستمرة، وبالعرب،" ويؤكد تميّزهم وارتفاع شأنهم، ثمّ يميزهم من غيرهم من الأقوام، فهم عرق يمتاز بهذه الميزات الفاضلة وليسوا كأصحاب الجلود الحمر أو الأستراليين، لذلك أنشأوا حضارة ومدناً زاهية زاهرة دامت ثمانية قرون تشع الآداب والعلوم والمعارف في آسية وأوروبة. تاريخ العرب قبل ظهور سيدنا محمد عليه الصلّاة والسّلام

ويتابع غوستاف لوبون إظهار تاريخ العرب وتبيين فضائلهم، وأهم شيء في هذا أنّ معظم الجزيرة العربيّة لم تخضع للفاحين، بله حدودها الشماليّة، فيقول: "... إنّ جزيرة العرب نجحت من غزو الأجنبيّ خلا ما أصاب حدودها الشماليّة، وأنّ عظماء الفاتحين من مصريّين وأغارقة ورومان وفرس وغيرهم ممن انتهوا العالم لم ينالوا شيئاً من جزيرة العرب التي أوصدت دولهم أبوابها".

ولكنّه يؤكّد في الوقت نفسه أنّ الأحباش قد استولوا سنة ٥٢٥م على اليمن، ثمّ جاء الفرس وطردوا الأحباش، ولكنّ هذا لم يكن ممتداً في التاريخ، فيقول: "نعم، إنّ جزيرة العرب كانت حين ظهور محمد تحت خطر الغزو الأجنبيّ المرهوب، وإنّ الأحباش استولوا في سنة ٥٢٥م على اليمن التي لم تدنّ لغير ملوك العرب فيما مضى. وإنّ الأحباش حاولوا أن يمحّلوا العرب على التنصّر، فاستطاعوا تصير بعض القبائل العربيّة، وإنّ الفرس طردوا الأحباش من اليمن في سنة ٥٩٧م، أي قبل ظهور محمد بقليل، فأضحى للفرس مرازية في اليمن وحضر موت وعمان، غير أنّ ذلك كلّه كان لأجل قصر، ولم يصب بلاد نجد والحجاز الواسعة منه شيء" (٢٥).

ويلجّ غوستاف لوبون بعد عرض طويل لخاولات احتلال جزيرة العرب على أن جزءاً كبيراً منها لم يقع تحت إصر الاحتلال، فيقول منتهياً في نتائجها: "إذن، من الصّواب قولنا: إنّ القسم الأكبر من جزيرة العرب هو القسم الوحيد الذي لم تطأه أرجل الفاتحين من بلاد العالم المتمدّن على ما يحتمل". (٢٦)

إن لوبون يريد أن يظهر — كما يتراءى لي — أنّ العرب كانوا أمة عصيّة على قبول الهوان والرضوخ والاستسلام للمستعمر، ولنا في يوم ذي قار دليل على اتّحاد العرب ضدّ الفرس.

كما أن للعرب قدرة متفوّقة على الخاورة والمناكفة والحجاج العقليّ، وقد استطاعوا بذلك أن يردّوا كيد الكائدين عنهم، ودليل ذلك ما فعله عرب الحجّر "بطرا" حين خاطبوا الملك ديميتريوس حين بلغ ديارهم مهاجماً فقالوا: "لماذا تحاربنا ايها الملك ديميتريوس ونحن سكان

الصَّحَارَى التي لا تسدّ فيها خَلَّةٌ؟ ترانا نقطن في هذه البقاع القاحلة فراراً من العبوديّة، اقبل هديتنا وارجع إلى حيث كنت، سنكون من أوفى الأصدقاء لك، ولكنتك إذا رغبت في حصرنا حُرِّمَتْ كلّ هناة، ورأيت عجزك عن إكراهنا على تبديل طرق حياتنا التي تعودناها منذ نعومة أظفارنا، وإذا قدرت على أسر بعضنا أيقنت أنك لن تجد واحداً ممن أسرت يستطيع أن يألف حياة غير التي ألفناها»^(٢٧).

نعم، لقد تحاور العرب وأظهروا براعة في ذلك، كما أحسنوا إقناع الآخر، وهذا ما حصل في التصوّ الفاتن، فقبل الملك هديتهم، ورضي بما حدث^(٢٨).

وكان للحوار قيمة في حياة العربي، وقد بث هذا قصالده، حتّى إله قد حاور دابّته، فهذا المثقّب العبديّ يقيم محاورّة بينه وبين ناقته، فيقول:

إذا ما قمت أرحلها بليل تاوّه آهة الرّجل الحزين

تقول إذا ذرات لها وضيبي: أهذا دينه ابدأ وديني

أكلّ الذّهر حلّ وارتمال أما يبقى عليّ ولا يقيني^(٢٩)

ومن أهمّ سمات الحوار حسن التّأني إلى الآخرين، فهذا علقمة بن عبدة يذهب سفيراً باسم قومه لإنقاذ أخيه شأس ومن معه بعد وقوعهم في أسر الخارث الغسانيّ، فيقول:

وفي كلّ حيّ قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نذاك ذنوب^(٣٠)

واستطاع العربيّ أن يقيم حججاً عقلياً مع من يحاور، فلا يقبل الأمور على علائقها، بل يقلّبها من جميع أوجهها، وقد نزل القرآن الكريم مؤكداً لذلك، فقد قال تعالى: "بل هم قوم خصمون"^(٣١)، وقال تعالى كذلك: "ولتعرفنهم في لحن القول"^(٣٢)، وقال تعالى: "وإن يقولوا تسمع لقولهم"^(٣٣).

والحوار ميدان رحيب في الشّعر الجاهليّ، فقد حاور الشّاعر الجاهليّ نفسه في أمر المستقبل الخائر، إذ لم يدرك ما سيحصل له بعد لحظة التي هو فيها، فوجدنا المثقّب العبديّ يحاور نفسه في سؤال المجهول.

وما أدري إذا يممت أمراً أريد الخير، أيهما يليني

أخبر الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يتقيني^(٣٤)

كما حاور الشاعر ملوك الدول المجاورة للجزيرة العربية، ونشأ أدب السفارات، ولنا في
اعتذاريات التابعة للذياني دليل ناصح، إذ حاور وحاجج:

أتاني آيت اللعن أنك لم تني وتلك التي تستك منها المامع^(٣٥)

وحاور الشاعر الآخرين، كزوجته ومحبوته، فهذا عروة بن الورد يحاور زوجته أم حسان
التي تعذله على كثرة الإنفاق، ويحاججها بأنه يريد أن يحقق لنفسه ذكرى خالدة،

ذريتي ونفسي أم حسان إنني بما قبل ألا أملك الأمر مشرتي

أحاديث تبقى والفتى غير خالداً إذا هو أمسى هامة فوق صير^(٣٦)

ويحاور امرؤ القيس محبوته فاطمة،

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلّ وإن كنت قد أزمعت صرّمي فأجلي

أغرّك مني أن حبّك قاتلي وألك مهما تأمري القلب يفعل^(٣٧)

والشاعر الجاهلي يحاور الأشياء من حوله، فامرؤ القيس يتحدث إلى الليل:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمل^(٣٨)

مظاهر الحضارة العربية

يعلي غوستاف لوبون شأن الحضارة العربية قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم^(٣٩)، إذ
يعود إلى الحديث عن العلاقات التجارية للعرب بالبلاد الأخرى، وكانت المدن ذات ازدهار كبير،
وخاصة مدن اليمن، ويحتفل لوبون بالحديث عن الحضارة الشائخة التي وصلت إليها مدن اليمن،
فيقول: "ومن الأدلة على ازدهار مدن اليمن في القرون القديمة ما كان لها من الصلات التجارية
الواسعة بالبلاد الأخرى"^(٤٠)، ثم يقدم البرهان العقلي على أن الحضارة والتمدن للأمم لا يأتیان إلا
بالتجارة؛ لأن فيها توصلاً مع الآخر، فيقول: "وبما أن من الصعب أن نعثر في التاريخ على أمة
ذات شأن كبير في التجارة من غير أن تكون متمدنة، وبما أن علاقات العرب التجارية العالمية
استمرت ألفي سنة، وقد ورد ذكرها في التوراة، فإننا نقول: إن العرب ضربوا بسهم وافر في
ميدان الحضارة، وإنه كان لمخازنهم من الأهمية ما لمخازن البندقية في إبان عظمتها"^(٤١).

وبين لوبون امتداد العلاقات التجارية للعرب، بأن أصبحوا وسطاء بين الأوربيين والمشرق، لكنّه لم يوثق هذه المعلومة، فيقول: "وكان العرب واسطة بين قدماء الأوربيين وبقاع الشرق القاصية"^(٤٢)، ولا أدري دقة هذا القول وصدقه.

ويتحدّث عن البضائع التي كانوا يتّجرون بها، إذ لم تكن مقصورة على متوجّاهم، بل امتدّت إلى السّلع الإفريقيّة والهنديّة، فيقول: "ولم تقتصر تجارة العرب على منتجات بلادهم، بل كانت تشمل السّلع التي كانوا يجلبونها من إفريقيّة والهند أيضاً، وكانت التّفانس، كالعاج والعطور والأفاريه والحجارة الكريمة والتّبر والأرقاء، إلخ، أهمّ ما يتاجر به العرب"^(٤٣).

ولم يكتف صاحبنا بالحديث عن التجارة دليلاً على حضارة العرب وعمدّتهم، بل يرى أنّ بلاد العرب كانت من أغنى بقاع العالم لوجود القصور فيها، وما في هذه القصور من ذهب وفضّة، ويقتبس من هيرودتس الذي وصف تلك البلاد قبل المسيح بنحو أربعمئة سنة فيقول: "ووصف هيرودتس قبل المسيح بنحو أربعمئة سنة، بلاد العرب السّعيدة بأنّها من أغنى بقاع العالم، وأنّه كان في مارب، أو سبأ التي ورد ذكرها في التّوراة، قصور نضرة، ذات أبواب عسجديّة وآنية من ذهب وفضّة، وسرر من المعادن القديمة"^(٤٤).

كما يقتبس من إسترابون الذي لم يزد على ما رواه هيرودتس، ثمّ يثبت نصّاً للمسعودي عن مارب^(٤٥).

وقد جاء ذكر هذه الإشارات الحضاريّة في القرآن الكريم، الذي فيه سورة كاملة اسمها سورة سبأ، وفيها قول الله تعالى: "لقد كان لسبأ في مسكنهم آية، جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربّكم واشكروا له، بلدة طيبة وربّ غفور..."^(٤٦).

ومما يؤخذ على غوستاف لوبون في هذا السّياق إسناده الحديث إلى التّوراة فقط، إذ كان عليه أن يعود إلى القرآن الكريم، كما ذكرت آنفاً، مع أنّه يتحدّث عن القرآن في فصل خاصّ به حديثاً فيه شيء كبير من الموضوعيّة^(٤٧).

ويتخذ غوستاف لوبون من حضارة العرب وما وصلت إليه ومن علاقاتهم التجاريّة المميّزة دليلاً على أنّ القوم كانوا أهلاً لحمل رسالة الإسلام إلى العالمين؛ لأنّ هذه الرسالة رسالة عالميّة، وليست مخصوصة بقوم وحدهم كالرسالات السّابقة، لذلك، وجدنا الصّحابة رضوان الله عليهم يسبحون في الآفاق يثّون رسالة الإسلام، ولم يجدوا في أنفسهم حرجاً من ذلك، لتعودهم اتّواصل

مع الآخر من خارج الجزيرة العربية، وإلّا فادّهم من الحضارات الأخرى، فيقول: "ولم يسطع نجم حضارة العرب قبل محمّد في اليمن وحدها، فما جاء في أقدم روايات التاريخ عن حضارة الحيرة والغاسنة، يثبت أيضاً درجة استعداد أتباع محمّد للقيام برسالتهم في عالم المدنيّة"^(٤٨).

ثمّ ينتهي غوستاف لوبون إلى نتيجة بعد كلّ المقدمات التاريخية التي قدّمها عن الحضارة العربية إلى أنّ العرب ليسوا بممّج، وهم متحضّرون وظهروا قبل الرومان فيقول: "ومهما تكن الآثار التي ألعنا إليها آنفاً ناقصة، فإنّها لما تتمّ به روايات قدماء المؤلّفين، ولما تبهر من خلاله ازدهار حضارة العرب الغابرة التي نسيها الناس في الوقت الحاضر، فنتظر من يكشف الغطاء عنها، والتي نرتدع، بما نعرف عنها من العلم القليل، عن عدّة العرب همجاً، والعرب هؤلاء قد ظهروا على مسرح التاريخ قبل الرومان بقرون كثيرة، وأنشأوا المدن العظيمة، وكانت علاقاتهم بأرقى شعوب الأرض وثيقة"^(٤٩).

أديان العرب

يذكر غوستاف لوبون أديان العرب قبل الإسلام ومنها عبادتهم الأصنام، لكنّه يقع في خطأ كبير إذ يقول عن الكعبة: "... وكان فيها حين ظهور محمّد ٣٦٠ صنماً وصورة، وكانت صورة المسيح ومريم العذراء من هذه الصّور كما جاء في تواريخ العرب"^(٥٠)، ولا أدري من أين جاء بهذه المعلومات، عن وجود الصّور وصورة للسيد المسيح والسيدة العذراء عليهما السلام، فهو يقول كما جاء في تواريخ العرب، ولكنّه لم يوثّق، ولذلك تبدو هذه الرّواية نازلة وغير صحيحة.

ثمّ يقع في خطأ آخر في حديثه عن الكعبة إذ يقول: "... وقد بنى إبراهيم الكعبة في جزيرة العرب كما روى العرب"، وما زال لوبون في المشكلة نفسها إذ لم يوثّق حين يقول: كما روى العرب، ومن المعلوم أنّ هذا مذكور في القرآن الكريم، فقد قال تعالى: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم"^(٥١).

ثمّ يتحدّث عن بذور التوحيد في الجزيرة العربية فيقول: "ووجدنا في نوايا تلك العبادات المختلفة بذور توحيد لما تعهّد محمّد إنمائه فيما بعد"^(٥٢)، ويذكر بعد ذلك بقليل أنّ عدداً من العرب قد كانوا موحدين، فيقول: "ووجد بين العرب، فضلاً عن التصاري واليهود الذين لم يكن عددهم قليلاً في جزيرة العرب من يعبدون إلهاً واحداً، وسُمّي هؤلاء بالحنفاء"^(٥٣).

إن المدقق والمتفحص في هذا القول يتبين أن غوستاف لوبون يشير إلى أن الإسلام قد جاء وبعض الطرق مبهود أمامه، فبعض العرب كان على دين إبراهيم، وهو دين التوحيد، وهؤلاء هم الخنفاء^(٥٤).

ولا يعنى قولنا هذا بأن التي صلى الله عليه وسلم لم يواجه عقاباً ولا شداً، فقد قاسى وعانى، ولكن، يستدل من الذين دخلوا الإسلام ما ورد في الحديث "خيركم في الجاهلية خياركم في الإسلام، إذا فقهوا"، وفي الحديث: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وهذا يؤيد الإشارة التي ذكرها لوبون بالعرب، حين ذكر أنهم أهل لحمل رسالة الإسلام إلى العالمين، إذ إن عندهم المؤهلات الواضحة لذلك، كالقدرة على الحوار، والتأثير في الآخر، ومعرفة بعضهم بالتوحيد، فهذه أمور اختارهم الله من أجلها ليحملوا رسالته إلى كل الناس.

ويتكلم غوستاف لوبون على فضيلة مهمة عند هؤلاء الخنفاء، هي الإيمان بالقضاء والقدر، فيقول: "ولست عقيدة التوحيد التي هي من أهم مبادئ القرآن، كل ما عند الخنفاء، بل قالوا أيضاً، كما قال القرآن فيما بعد، إن على الإنسان أن يسلم بقضاء الله وقدره تسليم إبراهيم حينما رأى ذبح ابنه إسحاق"^(٥٥).

وقد وقع صاحبنا في تعميم غير حميد، حين وصف هؤلاء الخنفاء بأنهم مؤمنون بالقضاء والقدر، إذ إن هذا الحكم المعمم غير قائم على دليل واضح وصريح، ثم إن هذين المصطلحين مصطلحان إسلاميان، ولم يعرفا في الجاهلية، لذلك بنى غوستاف لوبون هذا الحكم بلا ترجيح ولا مرجح، سوى أنه أتى بحادثة ذبح إبراهيم لولده إسحاق، وأحسب أن العرب لم يكونوا على علم بها إلا حين أخبرهم بها القرآن الكريم بعد البعثة.

ثم إن لوبون أشار إلى حادثة الذبح، وأن الذبيح هو إسحاق، ولم يوثق هذا بمعنى أن بين المفسرين خلافاً في الذبيح: أهو إسحاق أم إسماعيل، وقد أورد القضية بأن الذبيح هو إسحاق تأكيداً من غير دليل واضح، وهذا خلل لا ينبغي الوقوع فيه.

المرأة الجاهلية

يبدو طرح غوستاف لوبون في شأن المرأة الجاهلية معاصاً، إذ هو بحاجة إلى توقف، فيقول: "وكان الرجال قبل ظهور محمد يعدون منزلة النساء متوسطة بين الأنعام والإنسان من بعض الوجوه، أي أداة للاستيلاء والخدمة، وكانوا يعدون ولادة البنات مصيبة، وشاعت عادة الوأد،

وصار لا يُجادلُ فيها كما لو كانت البنات جراء يقذف بها في الماء^(٥٦).

وهذا الرأي بحاجة إلى مناقشة، إذ يحتوي على القضايا الآتية:

أولاً: أنّ السّرّجال يعدّون المرأة في مولة متوسطة بين الإنسان والأنعام، وهذا كلام غير دقيق، بل متهاافت، فالشعر يجبرنا بغير ذلك، فقد أكرموها ووصفوها بأجمل الأوصاف، وحسبنا افتتاح كثير من الشعراء بالحديث عنها، لما لا نستطيع حصره في هذه الصفحات، ودافعوا عنها، واحترموها، والحكم بأنّها بين الإنسان والأنعام حكم جائر، وما زلنا نقول: إن صاحبنا لا يوثق، فما مصدر هذا الحكم؟ إن استقرأه خلال المرأة الجاهلية الحرّة يبتنا أنّها كانت عقيلة وسيدة ومكرّمة ورأيها يحترم، حتّى إنّها كانت تبدي رأيها في الزّواج، كما فعل عتبة بن ربيعة مع ابنته هند^(٥٧)، وكانت تملك حق اختيار الزّوج، وهذا ما فعلته خديجة مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الجاهليّة كذلك.^(٥٨)

أمّا إن أراد لوبون الحديث عن غير الخرائر من النساء، أعني الإماماء، فذلك أمر لا يقاس عليه، فنحن معنيون بالعقائل والخرائر، أمّا الإماماء، فلطبيعة العبوديّة المنتشرة في زمانهم.

ثانياً: أنّهم كانوا يعدّون ولادة البنات مصيبة، وهذا حكم صحيح، ولكن لا نستطيع تعميمه، فالتعميم خطأ فادح، إذ لم يكن الأمر كذلك في الجاهليّة كما وضّحنا، غير أنّنا وجدنا من يتّصفون بهذه الصفة كما جاء في قول الله تعالى: "وإذا بشر أحدهم بالأنثى، ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، ألا ساء ما يحكمون"^(٥٩).

وهذه حالات كانت موجودة عند بعضهم، ولكنّها لا ترقى إلى أن تكون ظاهرة عامّة في المجتمع.

ثالثاً: وشاعت عادة الوأد، وهذا قول غير دقيق، وهو بحاجة إلى الحجّة والدليل، وقد ناقشت قضية الوأد في بحثي: "محاولات التجديد في القيم العربيّة في العصر الجاهليّ" وانتهيت إلى أنّ هذه القضية قد وضّحت ووضعت في غير حجمها الطّبيعيّ، وقد ذكرت في ذلك البحث أسماء القبائل التي كانت تند، وليست عادة الوأد كما يظنّها كثير من الناس، وإنّما ذكرها الله تعالى في كتابه سعلى قلّة فاعليها- لأنّها تتصل بالإنسان ووجوده وكرامته، ثمّ

إنه ليس هذه العادة صدى في الشعر الجاهلي، إلا في آيات قلائل، كما آنا وجدنا من ثار عليها من أهل الشرف والفضل، ومنهم صعصعة بن ناجية التميمي جد الفرزدق، وزيد بن عمرو بن نفيل، فقد كانا نصيرين للمرأة، وسمي أحدهما محبي المؤرودة. (٦٠)

كلمة أخيرة

لقد استعرضنا أهم القضايا التي أوردها غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" عن العصر الجاهلي، وناقشناها وبيننا الآراء الفاضلة وزدنا في توضيحها، وقدنا الآراء غير الدقيقة وأوردنا الردود العلمية عليها، ومع ذلك، فـ"إن نظرة مدققة مخصصة لكتاب "حضارة العرب" تؤكد أنه كتاب أنصف فيه مؤلفه الدكتور غوستاف لوبون حضارتنا العربية الإسلامية إلى حد بعيد، ونتيجة طبيعية لهذه النظرة الشاملة، يقرر الدارس أن إنصاف المؤلف واضح ملموس، وحسن التية متوفر لا ريب فيه، وإن الهفوات التي وقع فيها تؤخذ على محمل حسن، بعيد - كل البعد - عن الحقد والتس والافتراء، لانطلاق (لوبون) من أرضية الإعجاب بحضارة غير متم إليها، لها دورها الكبير في التهضة المعاصرة، والتقدم الحضاري العلمي الحالي، فأراد إنصافها، وتقديم روائعها لبني قومه، ليبتدأ أوهامهم الموروثة حولها" (٦١).

إن لشخصية غوستاف لوبون مفتاحاً، فقد "أعجب بترائنا وآثارنا، وأحب العرب وسمحهم في فتوحهم، ولمس إبداعهم في بناء حضارتهم، التي كانت سبب صحوة أوروبا الحديثة عندما احتكت بها" (٦٢).

ويرى شوقي أبو خليل صاحب كتاب "في الميزان: غوستاف لوبون" "أن مفتاح شخصية الرجل هو عدم أخذه بدراسات الاستشراق الظالم، مع كرهه لليهود، فتحرر من تأثير دراساتهم وأحكامهم ووجهات نظرهم حول تاريخنا وحضارتنا، فجاءت آراؤه منصفة عادلة بشكل عام، وعندما أخطأ أو كبا، ما أخطأ عن تعصب أو حقد، وما كبا عن سوء قصد" (٦٣).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أسماء جبال قمامة وسكانها، وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، رواية السرياني يأساده إلى عرام بن الأصيح السلمي، ضمن كتاب: نوادر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١-١٩٩١ م.

٢. الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣-٣٢١هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ-١٩٩١م .
٣. الإصابة في تمييز الصحابة ، تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي المعروف بابن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (د.ت) .
٤. الأمالي، تأليف أبي عليّ إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، د. ت.
٥. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تأليف السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي ، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد مجت الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان (د.ت) .
٦. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط ٤ : ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٧. جهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وعلّق عليه وزاد في شرحه الدكتور محمد علي الهاشمي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٨. حضارة العرب، تأليف الدكتور غوستاف لوبون، نقله إلى العربية عادل زعتر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٦م، طبع بدار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٩. ديوان الأعشى، ميمون بن قيس، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، د.ب.
١٠. ديوان التابعة للذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار المعارف .
١١. السيرة النبوية ، لابن هشام (ت٢١٨هـ) حققها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م - ١٤١٥ هـ .
١٢. شرح أشعار الهذليين ، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، حققه عبد الستار أحمد فوّاج، راجعه محمود محمد شاكر.
١٣. شرح ديوان امرئ القيس، لأبي جعفر التحاس (ت ٣٣٨هـ)، قرأه ووضع فهرسه وعلّق عليه

- د. عمر الفجائي، وزارة الثقافة، عمان - ٢٠٠٢م.
١٤. في الميزان: غوستاف لوبون، شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق-سورية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٥. مؤتمر: مناهج التجديد في العلوم الإسلامية والعربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٦. المفضليات، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الطبعة السادسة، بيروت-لبنان.
١٧. المنظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، التوفى ٥٩٧هـ - دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

الهوامش:

-
- (١) حضارة العرب: ٨٧.
- (٢) المصدر السابق: ٨٧.
- (٣) المصدر السابق: ٨٧.
- (٤) المصدر السابق: ٨٧.
- (٥) المصدر السابق: ٨٧.
- (٦) المصدر السابق: ٨٧-٨٨.
- (٧) المصدر السابق: ٨٨.
- (٨) حضارة العرب: ٨٨.
- (٩) المصدر السابق: ٨٨.
- (٩) المصدر السابق: ٨٨.
- (١٠) الواقعة: ٦٤.
- (١١) التين: (١-٢).
- (١٢) الواقعة: ٢٠.
- (١٣) الأنعام: ١٤١.

(١٤) أسماء جبال قامة وسكانها ٢: ٤٢٨.

(١٥) المصدر السابق: ٢: ٤٢٨ - ٢: ٤٢٩.

(١٦) المصدر السابق: ٢: ٤٣١.

(١٧) ديوان الأعشى: ٤٠٣.

(١٨) ديوان المهذلين: ١٣٣.

(١٩) حضارة العرب: ٨٨.

(٢٠) المصدر السابق: ٨٨.

(٢١) جمهرة أشعار العرب: ٢: ٥٦٥.

(٢٢) المصدر السابق: ٢: ٨٣٢.

(٢٣) حضارة العرب: ٨٨.

(٢٤) حضارة العرب: ٨٨.

(٢٥) المصدر السابق: ٩٤.

(٢٦) المصدر السابق: ٩٤.

(٢٧) حضارة العرب: ٩١-٩٢.

(٢٨) المصدر السابق: ٩٢.

(٢٩) المفضليات: ٢٩٢.

(٣٠) المصدر السابق: ٣٩٦.

(٣١) الزخرف: ٥٨.

(٣٢) محمد: ٣٠.

(٣٣) المنافقون: ٤.

(٣٤) المفضليات: ٢٩٢.

(٣٥) ديوان النابغة: ٣٤.

(٣٦) جمهرة أشعار العرب: ٢: ٥٧٩.

(٣٧) ديوان امرئ القيس: ٢٠.

(٣٨) المصدر السابق: ٣١.

(٣٩) حضارة العرب: ٩٤-٩٧.

(٤٠) المصدر السابق: ٩٥.

- (٤١) المصدر السابق: ٩٥.
- (٤٢) المصدر السابق: ٩٥.
- (٤٣) المصدر السابق: ٩٥.
- (٤٤) المصدر السابق: ٩٤.
- (٤٥) المصدر السابق: ٩٤-٩٥.
- (٤٦) سبأ: ١٥.
- (٤٧) المصدر السابق: (١١٧-١٢٩).
- (٤٨) المصدر السابق: ٩٦.
- (٤٩) المصدر السابق: ٩٧.
- (٥٠) حضارة العرب: ٩٩.
- (٥١) البقرة: ١٢٧.
- (٥٢) حضارة العرب: ٩٩.
- (٥٣) المصدر السابق: ٩٩-١٠٠.
- (٥٤) ذكرت بعضاً من هؤلاء في بحثي المقدم إلى مؤتمر جامعة المنيا الموسوم بـ: "محاولات التجديد في القيم العربية في العصر الجاهلي": ٢٠٠٥.
- (٥٥) حضارة العرب: ١٠٠.
- (٥٦) حضارة العرب: ٤٠٢-٤٠٣.
- (٥٧) الأمل: ٢: ١٠٤.
- (٥٨) السيرة النبوية ١: ٢٢٤.
- (٥٩) النحل: ٥٨.
- (٦٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩: ٢٠٢، و بلوغ الأرب ٣: ٤٥، والمنظم ٢: ٣٣١، و ٥: ٢٦٤-٢٦٥، والإصابة ٣: ٣١٠، والاشفاق: ٢٣٩.
- (٦١) في الميزان: غوثاف لوبون: ١٧.
- (٦٢) المرجع السابق: ١٧٧.
- (٦٣) المرجع السابق: ١٧٨.